المحاضرة الثانية والثالثة :الصوتيات في التراث

:ومن المصنفات التي تعد مصادر صوتية

:المعاجم العربية

تعتبر المعاجم العربية من مصادر التراث الصوتي، لأنها زخرت بفيض هائل من الفكر الصوتي عندالعرب.وقدتناولت القضايا الصوتية إمّا في المقدمة أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة.ويرجع الفضل في الدراسة الصوتية إلى الخليل بن أحمد الذي وضع الأسس الأولى لعلم الأصوات العربية، ويتجلى ذلك من مقدمة "العين" حيث يقول محققا المعجم: "في هذه المقدمة بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرونعدّة من عصر الخليل"(5)

وبذلك احتل هذا المعجم مكانة سامية في اللغة العربية باعتباره أول معجم عربي، إن لم يكنأول معجم عالمي، ينظر بطريقة علمية دقيقة اعترف بها في ميدان الدراسات اللغويةالمعاصرة، اهتدى إليها الخليل بفكره الثاقب وموهبته النادرة وعلمه الواسع.

وجاء تأليف معجمه مناسباً لمدارج الجهاز الصوتي انطلاقاً من الحلق إلى الشفتين، وذلكتبعاً لطريق مخرج الكلام الذي ينطلق بطبعه من الداخل إلى الخارج، فكان الخليل يتذوق الحروف بفتح فمه ثم ينطق بالألف ويظهر الحرف نحو: "أبْ- أت- أخْ- أغْ"(6) إلى نهاية كل الحروف، فتم اختياره بداية الترتيب بالعين التي جعلها أول الكتاب ثم ما قاربمنها، الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها، فتوصل إلى الترتيب التالي: ع،ح،هـ، خ، غ،ق، ك، ج،ى ش، ض، ص، س، ز، ط، د،ا ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أىء الهمزة"(7)

وقدرسم الخليل الطريقة التي "يمكن بها معرفة مخرج الصوت، وكان في ذلك موفقاً كل التوفيق إلى حدّ أن علم الأصوات الحديث يعترف بكثير من آرائه ومقاييسه الصحيحة"(8)

وممّا قاله الخليل إن "أقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتّةٌ في الهاء.. لأشبهت الحاءَ لقرب مخرجالهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض"(9)

ويرى الفراهيدي أن "الألف في اسْحَنك واقشعرّ واسْحَنْفَرَ واسْبَكَرَّ ليست من أصل البناء. وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسُلَّماً للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج إلىألف الوصل، إلا أن دَحْرَج وهَمْلَج وقرطس لم يحتج فيهن إلى الألف لتكون السُلَّمَ،فافهم إن شاء الله"(10)

ويتحدث عن سمات البناء اللغوي، مبيناً أن كلام العرب مبني على أربعةأصناف، الثنائي، والثلاثي والرباعي والخماسي، ومقرراً أن الكلمة الرباعية والخماسيةإن لم تكن تحتوي على حرف من أحرف الذلاقة أو الأحرف الشفوية فهي ليست من الكلام العربي. حيث يقول: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاق أوالشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك،فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من يسمع منكلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أواثنان أو أكثر"(11)إلى غير ذلك من الأفكار والتعليلات والابتكارات التي ظلت نبراساً، وهدياً لعلماء اللغةوالنحو والصرف والعلوم الإنسانية بصفة عامة(12)

ولقد تناقلت المعاجم الأفكار الصوتية التي قررها الخليل، وخاصة تلك اتبعت منهجه في التأليف، أي وفق النظام الصوتي، أو التقليبات الهجائية مثل الجمهرة لابن دريد. الذي تعرض إلى قضايا صوتية كنسج الكلمة وبنائها، والأصوات التي تأتلف والتي لا تأتلف حيث بين أن القاف والكاف لا تأتلفان في كلمة إلا بوجود حواجز، وأشار أيضا إلى أن تباعدالحروف في المخرج يؤدي إلى خفة البناء خلاف التقارب الصوتي الذي يؤدي إلى ثقل الكلمة على اللسان.

و تحدث أيضاً عن صفات الأصوات كالرخاوة والإطباق والشدة، وتعرّض إلى نسبة تردّد الأصوات في اللغة العربية، إذ رأى أن أكثر الأصوات استعمالاً في اللغة العربية هي الواو والياءوالهاء وأقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم(13)ويبدوأن إبراهيم أنيس قد انطلق من مثل هذه الفكرة لدراسة روي الشعر، والبحث عن نسبة تردد الأصوات، معلّلا ذلك بكثرة الجهد الذي يتطلبه صوت (ما، أو قلته(14

المصنفات النحوية الصرفية:

يقوم كثير من أصول النحو العربي على أسس صوتية كتفسير كثير من الآثار الإعرابية التيتطرأ على الكلمات.فلقد حوت المصنفات النحوية الصرفية بين ثناياها كثيراً من ملامح التراث الصوتي العربي،وضمت دراسة مسهبة للمنحى الفسيولوجي المتعلق بكيفية تكوين الأصوات وإصدارها، وما ينجم عن ذلك من تنوع في صفاتها.

فقدخصص النحاة بعض الأبواب في كتبهم للدراسة الصوتية وخاصة حين تعرضهم لباب الإدغام أوالحديث عن قواعد الإعلال والإبدال.وكتاب سيبويه شاهد عدل على ذلك، وكذا المفصل للزمخشري، والجمل للزجاجي وغيرها من المصادرالتي لا تخلو من الإشارة إلى الملاحظات الصوتية.فسيبويه- مثلاً- أشار إلى كثير من الخصائص الصوتية، واتسم تصنيفه بالدقة والشمول، تناقلته التآليف العربية بعده، وهي معلومات مأخوذة من دون شك عن أستاذه الخليل وإن كان لا يتحدث عن ذلك إطلاقاً.يتعرض في موضوع الإدغام إلى الأصوات فيقول: " هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجهاومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها.فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين،والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون،والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء،والباء، والميم، والواو"(15)

ويضع سيبويه ستة عشر مخرجاً لحروف العربية، وما يلفت الانتباه هو أنهن يضع الهمزة والألف في مخرج أقصى الحلق وفي وسطه العين والحاء،(16) وهو يخالف في ذلك الخليل الذي جعل العين والحاء أقصى الحلق، وجعل الهمزة مع الواو والألف والياء.يتناول صفات الأصوات من جهر وهمس وشدة ورخاوة ومنحرفة، ومكررةولينة وهاوية ومطبقة ومنفتحة، (17) ويختم ذلك بقوله: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوزفيه، وما تبدله استثقالاً لما تدغم، وما تخفيه وهو بِزِنَةِ المتحرك"(18)فلم يخل مصنف في النحو لم يتعرض إلى القضايا الصوتية وهذا للعلاقة التي تربط العلمين.

ولقد قدم بعض النحاة القدامى الشرح اللغوي للحركات متصلاً بالجانب الفسيولوجي والكيفيةالتي يتم بها نطقها، ومن أولئك الزجاجي حيث يقول في "باب القول في معنى الرفع والنصب والجر من طريق اللغة":
فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى .." الأعلى ويجمع بين شفتيه وجعل ما كان منه بغير حركة موسوماً أيضاً بسمة الحركة لأنها هي الأصل.والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى،فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه.وأما الجر.. ومن سماه منهم من الكوفيين خفضاً، فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، وميله إلى إحدى الجهتين.وأماالجزم فأصله القطع.. فكأن معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة.. وكان المازني يقول: الجزم قطع الإعراب"(19).

وأشارت تلك المصنفات ولاسيما في الميدان الصرفي إلى كثير من الملامح الفونولوجية التي تتعلق بتجاور اللبنات المكونة للصيغة، وما يطرأ على بنية الكلمة العربية المعربة من تغيرات: إما في التصرفات المختلفة (من إفراد وتثنية وجمع،وتذكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة، ونسب، وماضٍ، ومضارع، وأمر..الخ) وإما عند وقوعها في درج الكلام في سياقات صوتية معينة (كالإدغام والوصل)(20)ومنالمصادر الصرفية التي عالجت مباحث صوتية متعددة كالإعلال والإبدال والقلب والإدغام،وغيرها، الشافية لابن الحاجب (ت646هـ).
وبذلك عدت المؤلفات النحوية الصرفية من المصادر الصوتية العربية.

المصنفات الأدبية:

ناقشت المصنفات الأدبية كثيراً من القضايا الصوتية، ولاسيما الجانب النطقي أو الفسيولوجي منها، ومن هذه المصنفات "البيان والتبيين" للجاحظ.فلقدتعرّض إلى تعريف الصوت حيث قال: "هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، ولنتكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت"(21)ويتناول موضوعاً ذا صلة وثيقة بالأمراض الكلامية أو العيوب النطقية التي أصبحت علماً مستقلاً في العصر الحديث لما له من مختصين ومعاهد ومستشفيات تعالجفيها هذه الأمراض.فهويردّ بعضها إلى السرعة كاللفف أي أن يدخل المتكلم الكلام بعضه في بعض، وبعضها الآخرإلى عيوب عضوية كسقوط الأسنان، (22) فيحدث صفير في الكلام، وبالتالي لا تقبله الأذن.
ومن خلال العيوب الصوتية كاللثغة وغيرها يتوصل إلى دراسة التقطيع الوظيفي، " فالألثغ مثلاً عندما يقطع كلمة "مضر" يقول "مضي" بإخراج الراء من مخرج الياء، لنقصان في آلة النطق، وعجزه في أداء الصوت، مع أنه يقصد "مضر"، لأن السامع الذي يسمع مضي يفطن للعاهة، ويصحح الخطأ الصوتي، ويفهم كلامه بالاعتماد على التقطيع المألوف"(23)وذكرأن الأصوات التي تدخلها اللثغة هي القاف والسين واللام والراء فتقلب القاف إلى طاء،والسين إلى ثاء، واللام إلى ياء أو كاف، والراء إلى غين أو ياء.

وتحدث الجاحظ عن اللكنة التي تظهر في كلام الأعجمي الذي ينطق باللغة العربية كنطق السندي الجيم زايا، والنبطي الزاي سيناً والعين همزة.وأشارأيضاً إلى البناء الصوتي للكلمة العربية، وإلى ما يأتلف في نسجها وما لا يأتلف، أيما عرف بالتنافر والتلاؤم، حيث قال: "فأما في افتراق الحروف، فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء.. بتقديم، ولا (بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولاالسين والضاد ولا الذال.."(24

:مصنفات البلاغة وإعجاز القرآن

لما كانت العلاقة جد وثيقة بين البلاغة والأصوات في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة،فلا غرو أن تضم المصنفات البلاغية وإعجاز القرآن بين ثناياها حديثاً عن الأصوات،ومناقشات ترتبط بصميم الميدانين الفوناتيكي والفونولوجي، وخاصة حين .تعرضها للفصاحة وما يرتبط بتنافر وائتلاف الحروف

ومما يمكن الاستشهاد به، على سبيل التوضيح لا الحصر جميع ما ورد في المصنفات العديدة، ماجاء في "سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجي الذي يرى أنه كلّما تباعدت مخارج حروف اللفظة حسن وقعها على السمع، وكلما تقاربت قبح، فذكر ذلك في قوله: "إن الحروف وهيأصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر. ولا شك في أن الألوان المتباينة إذاجمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسنمنه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبعد ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذاموجوداً على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه، كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة (منالحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة"(25

وفي هذا المجال يوازن الرمّاني بين قوله تعالى:"ولكم في القصاص حياة" وقول العرب "القتل أنفى للقتل" فقال: "وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس، وموجود في اللفظ بأن الخروج من الفاء إلى اللام (في القصاص) أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام (القتل أنفى) وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء (القصاص .(حياة) أعدل من الخروج من الألف إلى اللام (أنفى للقتل

وقد تناول أيضاً التأليف اللفظي، وقسّمه إلى متنافر ومتلائم، وذكر أن السبب في التلاؤممردّه إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً، وأما التنافرفسببه مثلما ذكر الخليل يعود إلى البعد أو القرب الشديد بين مخارج الأصوات، فإذابعدت الأصوات كانت بمنزلة الطفر، وإذا قربت القرب الشديد كانت بمنزلة المشي المقيد،لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من (ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال.(26

وقد ضم كتاب إعجاز القرآن للباقلاني كثيراً من المباحث الصوتية، بقصد تحليل آيات القرآن، وبيان أوجه إعجازه، فذكر ما يتعلق بفواتح السور، وسرّ اختيار حروف معينة لها، فمما قاله:" إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروففي أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، ليدل بالمذكور علىغيره، .وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم

والذي تنقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها- أقسام،

نحنذاكروها: فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة، وأخرى مجهورة. فالمهموسة منها عشرة وهي الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والثاء والفاء، والتاء والصاد والسين.
وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة. وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور. وكذلك نصف الحروف المجهورة (على السواء. لا زيادةولا نقصان"(27
ويقول الباقلاني عن البدء بحروف (ألم): "لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مطلعاً، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبّه بذكرها على غيرها من الحروف،وبين أنه إنما أتاهم بكل منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفينويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف، لأن الألف قد تلغى، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً"(28)إلى غير ذلك من النماذج ذات الصلة بالميدان الصوتي والتي يجدها الدارس في هذا المصدرالقيّم.

وتجدرالإشارة أيضاً إلى "مفتاح العلوم" للسكاكي الذي يعد مصدراً بلاغياً ولكنه لم يغفل الجانب الصوتي، إذ بدأ به كتابه، فتعرض إلى مخارج الحروف وصفاتها، ومما يثيرالإعجاب أنه رسم جهاز النطق ووضع ضمنه مخرج كل حرف، على الرغم من أنه لم تكن لديه الأجهزة العلمية التي يستعين بها لرسمه.وهكذا حوت تلك المصادر البلاغية وإعجاز القرآن مجالاً خصباً للبحوث الصوتية، يمكن للدارس الإفادة منها لفهم كثير من أسرار اللغة العربية.

علم القراءات والأداء القرآني:

تعد مصنفات التجويد من أهم مصادر التراث الصوتي، بل منابعه الأولى التي أدت دوراً مهماً في الحفاظ على النطق السليم لأصوات اللغة العربية. فقد كان علماء القراءات من أحرص القوم على تناول المباحث الصوتية في مؤلفاتهم التي ضمت كثيراً من الخصائص والمصطلحات الصوتية مثل الإشمام والإشباع والاختلاس والمد، والتفخيم والترقيق ونحوها، كما وضعوا رموزاً كتابية تمثلها(29) وجمع هذا التناول للمادة الصوتية بين النظري والتطبيق "فعرض لمخارج الحروف وصفاتها وتقسيماتها وفق ذلك، والملامح الأدائية لها (في السياقات المختلفة والتجاورات المتنوعة"(30
وما يعرف عن مراحلها الأولى هو أن أوّل من استخدم هذا المصطلح قريباً من معناه هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: "جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات" ويروى أنه كان يتفنن في تجويده وترتيله، وأن الرسول (ص) كان يجهش بالبكاء حين يسمع القرآن الكريم بترتيل ابن مسعود.(31) ولعلّ تقنين قواعد القراءة القرآنية جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، فأصبح كل كتاب في القراءات يشتمل على مباحث في مخارج الحروف وطريقة نطقها وكذلك صفاتها المختلفة كما فعل ابن الجزري في مؤلفه "النشر في (القراءات العشر"(32

ومن الكتب المهمة التي وصلتنا في هذا المجال: الحجة لابن خالويه والحجة لأبي علي الفارسي والمحتسب لابن جني.

المصادر الصوتية:

على الرغم من تناثر الدراسة الصوتية في مصادر مختلفة من التراث العربي، وكثرة العلماء والباحثين في هذا الميدان، إلا أنه لم يظهر مصدر مستقل يجمع شتات القضايا الصوتية وضم متفرقاتها إلا في فترة متأخرة من مسيرة البحث اللغوي العربي، وذلك على يد ابن جني في كتابه "سرّ صناعة الإعراب"، ولدى ابن سينا في رسالته الشهيرة" أسباب حدوث الحروف". وقد يرجع سبب هذا التأخر إلى "طبيعة المنهج اللغوي قديماً في معالجة جوانب الدرس اللغوي بين دفتي المصدر الواحد، إذ لم يكن هناك فصل دقيق بين فروع الدراسات اللغوية"(33)

ويعد ابن جني أول من نظر إلى المبحث الصوتي على أنه علم قائم بذاته، وأنه أوّل من استعمل مصطلحاً لغوياً للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله إلى الآن وهو علم الصوت، وكان على حق حين قال:" وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع"(34) بمعنى أن كتابه لم يكن جمعاً لآراء السابقين وأفكارهم، وإنما تميّز بالإضافات الجادة، تعبر عن نظرته العلمية الصائبة ودقتها الفائقة، "وتبين أنها دراسة لغوية مهمة يجب على عالم اللغة أن يضعها في الاعتبار"(35)

ومما يثير الإعجاب في هذه الدراسة اهتمام ابن جني بالجانب العملي التطبيقي كما يلاحظ ذلك في المختبرات الحديثة المعتمدة على الآلات والأجهزة المتطورة. فقد شبه الحلق بالناي (المزمار)، وشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته التي توضع عليها الأصابع، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق صوت لا يشبه صوت صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب سماعنا هذه الأصوات المختلفة(36) ويربط ابن جني بين علم الأصوات وعلم الموسيقى، فيقول: "إنّ علم الأصوات والحروف له تعلّق، ومشاركة للموسيقى، لما في صنعته الأصوات والنغم"(37)

مرجع المحاضرة:https://phonetics-acoustics.blogspot.com/2015/08/blog-post_9.html

المحاضرتان الرابعة والخامسة: المدرسة الفونولوجية الحديثة

1-نشأة مدرسة براغ:

التفّ حول "ماتيسيوس "مجموعة من الباحثين المتفقين فكريا،وبدأوا يعقدون اجتماعات لغوية للبحث المنظم منذ سنة 1926، وبعدها عرفوا بجماعة "براغ" إلى أن تفرقوا عند قيام الحرب العالمية الثانية[1].لقدقامت هذه المدرسة على المبادئ والأصول النظرية التي أرسى دعائمها "سوسير"، كما اتخذت من تصور "بودوان

[1]. - جيفري سامسون ، المدارس اللغوية التطور والصراع ، ص106 .

دي كورتناي للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة هما:" نيكولاي تروبتسكوي"، و"رومان" جاكسون"،وكفل النجاح لهذا المشروع ما تمتعت به "براغ" من تقاليد راسخة في الفكر اللساني ، ولم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، غير أن أفكارها واصلت ازدهارها في "هارفرد" بالولايات المتحدة التي صارت –بحكم الظروف – وطنا لجاكوبسون.وكان لمدرسة "براغ "الصدى الكبير في الأوساط اللسانية العالمية، ولدى عدد كبير من منظري ومثقفي العصر، من بينهم مؤسس اللسانيات الرسمية الفرنسية "أندريه مارتيه"[1].

2-تطورها

-قامت طائفة من علماء اللغة في تشيوسلوفاكيا بتكوين حلقة دراسية، ضمت عددا كبيرا من الباحثين من أقطار مختلفة منها: روسيا، وهولندا، وألمانيا وأنجليترا، وفرنسا، وصاغوا جملة من المبادئ الهامة، وتقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة، الذي عقد في "لاهاي" سنة 1928، تحت عنوان: "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية، " وفي العام التالي قدموا الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان "الأعمال" ، وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها" جاكوبسون "، وعقد في "براغ" مؤتمر الصوتيات، ثم تأكدت الحركة الصوتية على المستوى الدولي بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة ،وتبلورت في ثمانية أجزاء عن أعمال "حلقة براغ" تباعا حتى عام 1938[2]، وهي السنة التي حلّت فيها الحلقة لأسباب مجهولة وقد صقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا على يد **أندريه مارتينيه** و**إميل بنفنيست**[3] .

وطور اتجاه الحلقة حديثنا إلى نظرية معقدة بواسطة الأمريكي "وليان لابوف" الذي اتفق مع لغوييها في النظر إلى البعد الاجتماعي بصورة جدية، وتم التوصل إلى تحطيم الفصل الصارم الذي أقامه "سوسيسر" بين التاريخية والوصفية.

3- مبادئها

عنيت مدرسة "براغ" بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة، ومن أهم مبادئها ما يلي:

أولا: المبادئ الجمالية:

---

[1]. -روبار توسان ، ماهي السيميولوجيا ، ص40 .

[2]. - صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد العربي ، ص118 .

[3] - إميل بنفنيست : (1902-1975) لساني فرنسي مقارني ،كانت له مناقشات لآراء سوسير اللسانية بخاصة موضوع الإعتباطية ، من مؤلفاته ، مسائل في اللسانيات العامة .

لعل الفيلسوق"جان موكاروفسكي كان أهم من وضع المبادئ الجمالية للمدرسة والتي تتلخص فيما يلي:

1- الفن وطبيعته السيميولوجية: يقوم هذا المبدأ على أنّ فهم علم الجمال البنوي يكون في إطار مذهب علم السيميولوجيا، ولم يبق الأمر قاصر على الأدب، بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية، وأصبح شاملا لما يسمى بشخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني معا، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دارسة مشكلات الرمز والعلامة ودلالتهما، ومنه فعلى علم الجمال أن يتناول الأعمال الفنية كمركز وبنية وقيمة في الوقت نفسه.

2- دور الفاعل في الفكر الوظيفي :

يرى "موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف ، وعليه فالبنوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل، الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، كما توضحها بنية العمل الفني نفسه.

يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية، ولا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية.

إعطاء الأولية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأنّ النّظام اللّساني الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.

5- أعلامها:

استقطبت "مدرسة براغ" العديد من علماء اللسانيات الشبان إلاّ أن الشخصيات الأساسية فيها هم:

رومان جاكوسون ،س. كارسيفسكي و ن. تروبتسكوي وأعلام اللسانيين التشكيين منهم: ف. ماتيسيوس وترنكا وب.هافرانيك وي. موكاروفسكي الذي كان منظرا في مجال الدرس الأدبي بالإضافة إلى العالمين الفرنسيين: أندريه مارتينيه وبنفنيست

وسنقصر الحديث على الأعلام الثلاثة: تروبتسكوي وجاكوبسون ومارتينيه، وما قدّمه هؤلاء من جهود جبارة للبحث اللساني البراغي، بخاصة في مجال الفونولوجيا.

أولا: تروبتسكوى نيكولاي سير جفيتش

تروبتسكوي عالم لساني روسي ولد سنة 1890 بموسكو وتوفي سنة 1938 بفيينا وهو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا، تولى والده منصب

عميد جامعة موسكو،و انكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره [1]، وكان طالبا في قسم اللغة الهندو أوروبية في الجامعة التي كان يديرها والده، وأصبح في سنة 1916 عضوا في هيئة التدريس، فر إلى إقليم (روستوف) على نهر الدون –بعد قيام الثورة – أين حصل على منصب في الجامعة الإقليمية وبعدها فر إلى أسطنبول سنة 1919 ثم انتقل إلى فيينا سنة 1922 حيث درس فقه اللغة السلافية، وأصبح عضوا في "مدرسة براغ" ،و يعد تروبتسكوي مؤسس علم الفونولوجيا، ففي مؤتمر اللسانيات العالمي الأول الذي عقد بمدينة (لاهاي) سنة 1928، تقدم بالاشتراك مع جاكوبسون وكارسفسكي ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية ، نشأت حوله مدرسة براغ اللسانية، وأصدر سنة 1939 كتابه" مبادئ الفونولوجيا "الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1949 تحت عنوان : تندرج أفكاره في إطار المفهوم الوظيفي الذي نادت به مدرسة براغ، والذي ينظر للغة على أنها تنظيم وظيفية قائم على وسائط تعبيرية، مستعملة بهدف إقرار غاية معينة، لذا شملت دراسته كل المستويات اللسانية الفونولوجية والصرفية والمعجمية.

يعد" تروبتسكوي" المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، و من آرائه في هذا المجال أنّ الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس ،منتهيا إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها:

1- إذا كان صوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: قال وقال فاختلاف القاف والقاف لا يؤدي إلى تغير المعنى .

2- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: حال، جال ، فالحاء والجيم فهما فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما، وهما قادران على تغيير الدلالة .

3- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد، مثل صوت النون في العربية التي تتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها[2] .

ويرى "تروبتسكو" أن الفونيم عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات ، ومنه فكل فونيم يؤدي وظيفتين :

---

[1]. -ميلكا إيفتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ص235

[2] -اتجاهات البحث اللساني ، ص238 ومابعدها .وأنظر كتابه Principes de phonologie ,J.Cantineau ,Paris ,1949;

أ- وظيفة إيجابية : حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.
ب- وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك فونيم النون(ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة نام، لتحديد معناها ومدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية ، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة نام مختلفة عن كلمات مثل: قام، صام، حام.وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جلي –أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بأخر- في تغير المعنى، مثلا: استبدال فونيم الصاد في كلمة صام بالقاف فتصبح الكلمة قام فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة علىالتمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى وبترتيبها وموقعها في بنية الكلمة ، وهو ما يشبه فكرة التقاليب والتباديل في الاشتقاق الأكبر في العربية.

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم (**القيمة الخلافية**)

يرى تروبتسكوي أنّ الوظيفة التمييزية هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية ، ويعرف الفونيم من حيث وظيفته اللسانية على أنه: أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين ،ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة إذ أن ليس بإمكان أي فونيم تأدية وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادا لفونيم آخر، مثل الزوج (تاب/ ناب)، فوجود تضاد صوتي بين فونيمي التاء والنون، ميز بين دلالة الكلمتين ، وعليه ركز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي ، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة.

إثر هذا الجهد الكبير حاز العالم "ترويتسكوي "شرف المؤسس الأول للفونولوجيا وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته الهامة الأولى على النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللغة بأنه علم جديد ، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائدا في مجال الدراسات البنوية المنهجية من حيث دقته وصرامته ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي الدراسات اللسانية الأخرى، فقد حدث على يده تحول الدرس الفونولوجي من الجزئيات المعزولة إلى النظام، ثم بحث هذه الجزئيات من خلال علاقتها المختلفة.

3-أعماله اللسانية

أشهر أثر لسانسي خلفه، تروبتسكوي كتاب **مبادئ الفونولوجيا** الذي نشرته جماعة "براغ" بعد وفاته بسنة؛ لأنّه خلفه غير كامل في صورته التي رسمها له، وقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى "سوسير" ، وأقام تصوره للفونيم على أساس التفرقة التي وضعها هذا ألخير بين اللغة والكلام حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى السوسيري، أما الأصوات فتنتمي إلى الكلام، وعليه فرق "تروبتسكوي "بين علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا .

ورأى أن الأول: هو العلم الذي يحلل ويصف أصوات اللغة، وهي في حالة التجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى والثاني: هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية، ومثال ذلك قولنا: النون صامت+ مجهور+ أغن، فنكون قد وصفناها على أنها وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات ، وهو ما يهتم به علم الأصوات بينما يهتم علم الأصوات الوظيفي بتنوعات الصوت حسب السياق، فالنون مثلا في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمة (منك) و(عنك)...الخ [1].

وأسس التحليل الفونولوجي عند "تروبتسكوي "هي:

1- الفونيم أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة .

2- ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية غير المتغبرة (الفونيم) وتحقيقات الصوت الفعلية والمتنوعة.

3- الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة ، متضادة فيما بينها، ويتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات والصوامت والإيقاع.

4-تؤدي التقلبات الثنائية دورا جوهريا، تظهر في سلسلة من المكونات المتوازية ويؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم، الذي يدخل في تميز بالضد مع الطرف غير الموسوم.

لقد حدد "تروبتسكوي "بدقة متناهية "الفونيم " وتمييزه بين الفونولوجيا والفونيتيك كان له الأثر الكبير في تطوير النظرية البنوية .

2- يعد "جاكوبسون "من مؤسسي "الفونولوجيا "في مدرسة "براغ"، ولولا ديناميكيته الفعالة لما استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الكبير، ولاستغرقت وقتا طويلا لتفرض نفسها خارج "براغ" ففي كتابه "**مبادئ اللسانيات العامة** " أعطى أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي، بعد لحظ الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها، ثم ضبطها وفق التضاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي [2] التي هدته إلى فكرة "الملامح المميزة" التي يقصد بها مجموعة الخصائص الصوتية التي تميز فونيما عن آخر، وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو مجموعة من الملامح المميزة التي تتبع من الخصائص النطقية والسمعية ، وتحدد كل صوت من أصوات اللغة، مثل موضع النطق

[1]. -حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ن ص105 .

[2]. - سامي عياد حنا ، معجم اللسانيات الحديثة ،ص41..

وصفته[1].ونظرا لدقة الملامح المميزة لكل فونيم والحاجة الماسة إلى تحديدها الدقيق لجا" جاكوبسون" إلى الاستعانة بالآلات وإدخال الأجهزة في الدراسة الصوتية و نتج عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بـ" علم الأصوات التجريبي أو الآلي وعليها بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الإزدواجية أو الثنائية التي تحدث نتيجة لتقلبات صوتية معينة إذا وجدت فالوحدة الصوتية معلمة، وإذا غابت فهي غير معلمة .وحاول "جاكوبسون" تطبيق فكرة الملامح المميزة في التحليل المورفولوجي فقد وضع نظاما مورفولوجيا من خلال دراسته لنظام الفعل في اللغة الروسية ، ولكن جهوده في المورفولوجيا لا تقارن بجهوده في ميدان الفونولوجيا .

أعطى "جاكوبسون" الأولوية للدراسات التاريخية وذلك عكس "سوسير" الذي أولى الاهتمام لدراسة التنظيم الفونولوجي الحالي للغة، وحاول أن يدرس هدف التغير الطارئ على الفونيمات عبر المسار التاريخي للغة، أكثر من محاولة فهم أسبابه ومصادره، فتوصل إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشرة سمة ثنائية سمعية صالحة لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية، فهذه السمات كلية ، تختار اللغة على إثرها نظامها الفونولوجيـ، وتأخذ هذه السمات شكل (+) مثلا (+مصوت)، وهذه السمات هي التضادات التالية:

(مجهور/مهموس)، (غليظ/حاد)، (رخو/شديد)، (مزيد/غير مزيد)، (شفهي /غني)، (متكثف /منفلش)، (صائت/ صامت).

وقد تبنت المدرسة التوليدية التحويلية لمؤسسها"نوام تشومشكي مبادئ "جاكوبون" الفونولوجية.

كما يرى "جاكوبسون" أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني ، الذي لا يتحقق إلا بتوفر العناصر التالية[2]:

1- المرسل: يقوم بأداء الرسالة .

2- المتلقي: يستقبل الرسالة.

3- إقامة الاتصال بين المرسل والتلقي: كي ينجح هذا الاتصال لابد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما .

4- لغة مشتركة يتكلمها المرسل والمتلقي معا: وهو ما يساعد ويسهل عملية التواصل.

---

[1] -أكد هنري سويت والفرنسي بول باسي على ضرورة دراسة الخصائص النطقية المميزة للأصوات التي تسهم في تعرف معنى الكلمات ،وهذا ما نص عليه البولوني بودوان دي كورتناي صاحب نظرية مهمة في الفونيم ، اظر ميلكا إيفتش ، اتجاهات البحث اللساني ، ص229 .

[2] - Dictionnaire de linguistique ,p218-219.

5- رسالة لغوية : وهي ظرف للمحتوى الكلامي، الذي تشير إليه ، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه.

6- محتوى لغوي ترمز إليه الرسالة : وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي ونستطيع تمثيل هذه العناصر اللازمة لتحقيق عملية التواصل كما يلي:

مرسل ——— سياق ——— متلقي
رسالة
اتصال

إنّ كلّ عنصر من هذه العناصر يولد وظيفة لسانية مختلفة، وعليه ميّز "جاكوبسون " بين ست وظائف للفة هي:

1 -الوظيفة التعبيرية (الانفعالية):

وهي التي تحدد العلاقة بين المرسل والرسالة، وموقفه منها؛ لأن الرسالة تعبر عن مرسلها وتعكس حالتها، إضافة إلى ما تحمله من أفكار تتعلق بشيء ما (المرجع)، الذي يعبر المرسل عن مشاعره تجاهه.

2- الوظيفة الندائية :

توجد في الجمل التي ينادي بها المرسل المتلقي، لإثارة انتباهه، أو لطلب القيام بعمل ما' وتدخل الجملة الأمرية بين هذه الوظيفة .

3- وظيفة إقامة اتصال:

وذلك حين يحاول المرسل إبقاء الاتصال مع التلقي، عن طريق ألفاظ بسيطة لا تحمل أفكارا مثل: "ألو"، و"هاه"، والعبارة الشكسيبرية " أعرني أذنك".

4- وظيفة ما وراء اللغة (المعجمية):

تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراسة فتعمل على وصف اللغة، وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها إنها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها .

5- الوظيفة المرجعية [1]:

هي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها، وتسمى أيضا (تعيينية) أو (تعريفية) ، وتعتبر العمل الرئيسي للعديد من الرسائل، تتجه في العملية للمرجع أو الموضوع.

7- الوظيفة الشعرية (الإنشائية والأدبية) [1]

[1]-الأسلوبية والأسلوب ،ص 159.

هي إحدى الوظائف الأساسية للغة، لما تدخله من ديناميكية في حياتها، وبدونها تصبح اللغة ميتة وسكونية، وهي موجودة في كل أنواع الكلام، وتتحقق حينما تكون الرسالة معدة لذاتها، كما في النصوص الفنية اللغوية، مثل القصائد الشعرية، وهي ليست الوظيفة في الشعر، بل هي المهيمنة فيه.

إن هيمنة إحدى هده الوظائف (إنفعالية ، ندائية ، تواصلية ، ما ورائية ، مرجعية ، شعرية)لا تنتفي وجود الوظائف الأخرى، بل تحدد نوع الرسالة ويمكننا تمثيل هذه الوظائف بالرسم البياني:

مرجعية

انفعالية شعرية ندائية

إقامة اتصال

ما وراء اللغة

كان "جاكوبسون" من أعضاء جمعية "**أبو جاز** " OPOJAZ [2]التي تهتم بدراسة اللغة الشعرية، واهتم بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس السلافية، والفنون الشعبية وكان شديد التطلع للحركة العلمية المنبعثة من أوروبا الغربية، خاصة في مجال الدراسات اللغوية والفلسفية، وأولى اهتماما بقضايا الشعر، ويظهر ذلك في بحثه الموسوم بـ"عن الشعر " عام 1933 ويرى أن لغة الشعر تمثل بنية وظيفة ، لا تفهم عناصرها خارج نظامها المتكامل .

وكان جاكوبسون من أوائل المهتمين بنظرية الحقول الدلالية فركز على المكونات الداخلية في العلاقات المجازية، وبين أن تشبيه (الشجاع)بالأسد، و(الأبله)بالحمار و(الرجل السياسي) بالثعلب إنما هو من قبيل التشابه الموجود بين المكونات للمفردات اللسانية لأن الحقل الدلالي للأسد يحتوي على الوحدة المعنوية الصغرى "شجاعة" والحقل الدلالي للحمار على "بلاهة" والحقل الدلالي للثعلب على "مكر" [3].

وخصص "جاكوبسون" سلسلة من أعماله للغة الأطفال والحبسة اللسانية ، وخلاصة القول أن "جاكوبسون" لعب دورا مهما في مجال اللسانيات الحديثة بخاصة، والفكر البشري بعامة، فكانت آراءه الشرارة الأولى، والدعامة الأساسية

---

[1]- دليلة مرسلي ، مدخل إلى التحليل البنيوي ، ص21-22.

[2]-جماعة أبوجاز إختصار لجمعية دراسة اللغة الشعرية ،كانت نواتها مجموعة من طابة الدراسات العليا في جامعة موسكو شكلوا مايعرف بحلقة موسكو التي تطورت إلى جماعة الشكلانيين الروس، من أعلامها جاكوبسون وشلوفسكس وتنيانوف وإخنباوم وفلاديمير بروب تفتت بعد 1.9.34 لأسباب سياسية .أنظر تفاصيل أخرى عن مبادئ الإتجاه في صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ص57 .

[3]- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص308 .

لجانب كبير من الدراسات الإنسانية المعاصرة وكان تأثيره كبيرا في ميادين عديدة من العلوم الإنسانية وكان القسط الأكبر من تفكيره موجها للنظرية اللسانية .

المحاضرات السادسة،السابعة ، الثامنة: المدرسة الوظيفية التقطيع المزدوج/الفونيم/الفنونيم.

اعتمد "مارتينيه" في دراسة الأصوات الوظيفية، على مبادئ مدرسة "براغ" فتطورت على يده اللسانيات في أوربا بصفة عامة، وفي فرنسا بصفة خاصة ، وقد ركز على الوظيفة في اللغة أثناء عملية التبليغ والتواصل .

ومن أهم آرائه اللسانية ما يلي:

أ- وظيفة اللغة:

يعد "مارتينيه" الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساسية للغة بي أفراد المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة، بل يقربها ويعتبرها ثانوية كما يرى أن اللغة ليست نسخا للأشياء ونقلا آليا لها، بل هي بنى منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلم لغة أجنبية مثلا، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة ، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على البنى اللغوية لها تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم[1].

ب- التقطيع المزدوج [2]:

هذا التقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لايصالها للغير ويكون ذلك إما بصيحة فرح أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي ، لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية[3] .

يعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتينيه" الذي يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج التقطيع، أي أن الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما:

مستوى التقطيع الأول:

وفيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمى هذه الوحدات مونيمات مثال:

راجـ/ت درسـ/ي

---

1. - - Elements de linguistique generale ,pp9.
2. - Elements de linguistique generale ,pp14.
3. - رونالد إيلولر ، مدخل إلى اللسانيات ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ص82.

نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على أربع مونيمات متتابعة، ويسمى معنى كل لفظة مدلولا، وصيغتها الصوتية دالا، وهي وحدات دنيا يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة مثل:

قلمي	من عاج وفضة
ساعتي	
قرطي	
.	
.	
.	

فالوحدة 'قلم) وحدة معجمية، تنتمي إلى قائمة مفتوحة، لأن عدد وحداتها متزايد، وغير متناه.

أو يمكن استبدالها ضمن قائمة مغلقة ، مثل:

قلمي	من عاج وفضة
قلمنا	
قلمك	العلاقة السياقية
قلمك	
قلمكما	
قلمكما	
قلمكم	
قلمكن	
قلمه	
قلمها	
قلمهما	
قلمهم	
قلمهن	

المحور العمودي

فالوحدة (ي) وحدة نحوية تنتمي إلى قائمة مغلقة لأن عدد وحداتها محدود.

مستوى التقطيع الثاني:

يمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا-أيضا –مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان [1]مثال:

[1]- سليم بابا عمر وباني عميري ، اللسانيات الميسرة ، ص74.

كتب عمر درسه .
نزل القرآن بلسان عربي
تقطع (كتب) إلى ست وحدات مميزة أي ستة فونيمات : ك/=/ت/=/ب/=/ت/
وكذلك (نزل) ن /=/ /ز/=/ل/=/.
انطلاقا من هذا يكون التقطيع المزدوج قانونا أساسيا من قوانين اللغة البشرية.

ج- المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية :

يحصرها "مارتينيه" في ما يلي:

- الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية :

يرتكز التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين المونيمات ، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب وتتحدد وظيفة كل مونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقات.

-رتبة الوحدات اللسانية:

إن دراسة علاقة المونيمات في ما بينها وحدها، لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية .

-محتوى الوحدات اللسانية:

يركز "مارتينيه "على المحتوى الدلالي للمونيم الذي يكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره، تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب .

- مفهوم الملائمة:

تعتبر الملاحظة الموضوعية للمعطيات أساس كل علم، وهده المعطيات متشابكة ومعقدة، لذا يجب التركيز على مظهر الموضوع ، وعلى اللساني أيضا أن يتقصى السمات الخاصة، والملائمة للموضوع الذي يسعى لدراسته، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها (فالأعداد مثلا: هي السمات المناسبة في علم الحساب، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في علم الهندسو)،وهذه الطريقة الطريقة تحدد مستويات الدراسة بدقة ووضوح.

- الاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللساني :

تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية الذي يساعد على تطور اللغة.

ويشير هنا "مارتينه" إلى أن هذه الأسباب الخارجية يكمن تأثيرها في اندراجها في إطار بنية اللغة، كما أنه يركز على وجوب المحافظة على التفاهم والاتصال الذي يضمن للغة البقاء والتطور[1].

[1]. - ميشال زكريا ، الألسنية ،ص255-257 .

-الدراسة التركيبية :

استطاع "مارتيني" أن يطور التحليل التركيبي للجملة، انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية، فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها .

ومن الملاحظ أن التحليل التركيبي في اللسانيات قد تخلى –بصفة عامة- عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم ولأنه يطلق على وحدات دنيا بأتم معنى كلمة مثل: من، على ، هل...

ويطلق أيضا على وحدات ليست دنيا، وتتكون من عناصر لكل واحد منها وظيفته خرج، أخرج، فكلاهما تتضمن الحروف الدالة على الخروج، وأخرج تتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمخاطب المفرد والمذكر لهذا كان من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم الوحدة الدنيا، وقد اصطلحت النظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالمونيم .

ويرى مارتينيه أن العلاقة التي تربط المونيمات في النظام اللساني تتجلى في حالات هي [1]:

1- اللفظة المستقلة:

هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: اليوم، غدا، أحيانا،... والعلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ قائمة على أساس دلالتها الذاتية لا باعتبار موقعها في التركيب، أو تقيدها بترتيب مثل:

كرم الأديب أمس.

فلفظة "أمس" يمكن أن تظهر مواقع مختلفة، إذ يمكن القول أيضا:

أمس كرم الأديب

وكرم أمس الأديب

2-اللفظة الوظيفية:

لا وظيفة لها في حد ذاتها ، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى ، كما يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه مثل: حروف الجر، وأدوات النصب والجزم في العربية ، نحو:

ذهب الطالب إلى الجامعة.

"إلى " لفظة وظيفية، لا وظيفة لها في حد ذاتها ، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها –الجامعة – وظيفة (فيعتبر اسما مجرورا.

3- اللفظة التابعة:

[1]. - أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص113 .

هي اللفظة المقتربة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها ، مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، فلفظة (الجامعة) في المثال السابق هي لفظة تابعة مقترنة باللفة الوظيفية (إلى).

وهناك لفظة تابعة مقيدة بالموقع تحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغير وظيفتها النحوية مثال:

زارنا عميد الكلية .

(الكلية) مضاف إليه وهي لفظة مقيدة بالموقع.

4- العبارة المستقلة:

تتألف من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة ومنع على سبيل الذكر: الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه ، والنعت والمنعوت ..مثال:

زرت مع صديقاتي معرض الكتاب.

عبارة (مع صديقاتي) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة ، بل من خلال ارتباط العنصرين معا، ويجوز تغيير موقعها.

5- المركب الاسنادي :

هذه الجملة تحتوي على لفظة مستقلة (اليوم)، وعبارة مستقلة (على العدو ولفظة (تنتصر) مكتفية بذاتها قادرة على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو الحاقات ومن ثمة فهي تسمى المركب الاسنادي، وكل ما يضاف لها يسمى فضلة أو الحاقا لأن الكلام يستقيم بدونها من الناحية الوظيفية ولا يغير العلاقات بين العناصر السابقة ولهذا فوظيفتها غير أساسية .

وإذا تعلقت تعلقا مباشر بالمركب الاسنادي فهي تؤدي وظيفة أولية

وإذا تعلقت تعلقا غير مباشر به فهي تؤدي وظيفة غير أولية

مثال:

اشترى الأستاذ كتابا قيما.

فلفظة (كتاب) مفعول به مرتبطة ارتباطا مباشرا بالمركب الاسنادي فهو يؤدي وظيفة أولية ولفظة (قيما) نعت، يتعلق تعلقا غير مباشر بالمركب الاسنادي عن طريق المفعول به ولذلك فوظيفة غير أولية .

وقد ميز "مارتينيه" بين نوعين من الالحاق هما:

أولا: الإلحاق بالعطف

هو الذي يبقى الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه) مثال:

حضر العظماء والأشراف

إذا حذف العنصر الأولى (العظماء) تصبح الجملة "حضر الأشراف" مطابقة للجملة الأولى .

ثانيا: الإلحاق بالتبعية:

ويختلف عن الإلحاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع) مثال:

كافأه بجائزة كبيرة من الكتب.

لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة).

ومفهوم الإلحاق عند "مارتينيه" يتضمن وظائف مختلفة: كالنعت والمضاف إليه والمفعول والمعطوف.

ومن منطلق التحليل الوظيفي للبنى التركيبية يعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن اسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق [1].

[1]. - أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ،ص114-116 .